فقال : يا أمير المؤمنين ، وصفتُك بالحَزْم والعَزْم ، و وصف الأعشى صاحبه بالطَّيْش والخرق .

ويرى قدامة أن عبد الملك أصحّ نظراً من كثير ؛ لأن المبالغة أحسن من الاقتصار على الأمر الوسط ، الأعشى بالغ في وصف الشجاعة ، حيث جعل الشجاعَ شديدَ الإقدام بغير جنة [١] .

ولما كان المحمود هو المدح بالفضائل النفسية – كان المدحُ بالصِّفات الجسْمية من جمال وبهاء وزينة غلطًا وعيبًا ؛ ولذا عتب عبد الملك بن مروان على عبيد الله بن قيس الرُّقيّات في مدحه إياه ، حيث قال في مصعب بن الزبير :

إنَّما مُصْعَبٌ شهابٌ مِنَ اللـ ـه تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْماءُ

وقال فيه :

يأتَلِقُ التّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلى جَبينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ

فوجه العتب إنما كان من أجل أن هذا المادح عدل عن الفضائل النفسية ، ودخل في جملته إلى أوصاف الجسم وما يتصل بها [٢] .

وينكر ابن رشيق هذا الحصر على قدامة ؛ لأن إضافة الفضائل العرضية الجسمية كالجمال والأبهة وبسطة الخلق وسعة الدنيا وكثرة العشيرة من الأمور الجيدة ، وكان الواجب على قدامة أن يقول : إن المدح بالفضائل النفسية أشرف وأصح ، أما إنكار ما سواها كرة واحدة فليس صوابًا [٣] .

وإذا كان قدامة – أيضًا – عاب المديح بالآباء والأجداد ؛ لأن كثيراً من

(١) قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، ص ٦٩ ، ٧٠ . (٢) المرجع السابق ، ص ١٨٩ .
(٣) ابن رشيق :العمدة ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .